افغانستان تُختزل، داخلياً، الى صراع حول نسب المشاركة في الحكم بين الجبهات المتصارعة؛ وحكومة نيكاراغوا، المدعومة سوفياتياً، تفاوض، في قلب العاصمة ماناغوا، قيادات الثورة المضادة (الكونترا) المدعومة من قبل الادارة الاميركية، ليصبح السؤال المركزي هو كيفية مشاركة المعارضة في الحكم؛ وفي الشأن ذاته، تبرز محادثات لندن التي جمعت نظام جنوب افريقيا مع انغولا وكوبا، وهي محادثات سبقها اجتماع تحضيري بين نائبي وزيري الخارجية، السوفياتية والاميركية، للشؤون الافريقية، اداميشين وكروكر، لا للبحث في استقلال ناميبيا فقط، وانما لترتيب انسحاب ما يقرب من أربعين ألف جندي كوبي من انغولا، والبحث في امكانية مشاركة ثوار «يونيتا»، المدعومين من جنوب افريقيا، في الحكم.

ولا ريب في ان اختبار النوايا قائم في المعسكرين، الشرقي والغربي، بكثير من الشكوك، وقليل من الثقة. خبراء العلاقات الدولية الذين يعكفون على تفسير أصغر المؤشرات الصادرة عن البيت الابيض والكرملين، رأوا ان التحرك المكثّف لكلا الطرفين انما يعكس تغيّراً في أساليب المخاطبة، وليس بالضرورة في صلب المواقف. اما اولئك الذين يتابعون تسارع خطى «الوفاق الجديد»، بين أهداف الانفتاح السوفياتي (غلاسنوست)، وبين جموح الرغبة في انجاز تاريخي لادارة ريغان قبل نهايتها، فانهم يقولون ان فكرة الائتلاف، كقاعدة سياسية لحل الازمة داخل بؤر التوتر التي يتفجّر فيها النزاع الاقليمي، يمكن سحبها على المحاور او الكتل (من دولتين فأكثر)، والمشاركة في النزاع الاقليمي ذاته. وتابع هؤلاء القول، ان الفكرة الجوهرية وراء «الوفاق الجديد» تكمن في محاولة العملاقين التدرج بفكرة التعايش بين أنماط متغايرة ومتمايزة، اقتصادياً وعقائدياً، في البلد الواحد، او في كتلة دول، على أساس الاعتراف بالمصلحة الجماعية، ومن دون ان يكون هناك تنازل جوهري من طرف على حساب الآخر.

الى أي مدى انسحبت هذه التجارب على الوضع الفلسطيني ؟

لا بد من الاقرار، بادىء ذي بدء، بحقيقة ان هدف السياسة الاميركية، ازاء المسألة المركزية في أزمة الشرق الاوسط ، منذ مؤتمر يالطا الى عهد غورباتشيوف، كان حرمان الاتحاد السوفياتي من ان يكون شريكاً فاعلاً في حلها، وان لا يجد فيها موطىء قدم. وليس هذا بالامر الجديد، حيث يمكن رؤية تاريخ الصراع بين القوتين العظميين، انطلاقاً من العداء السوفياتي للاتفاق الثلاثي البريطاني ـ الفرنسي ـ الاميركي في مطلع الخمسينات لحماية اسرائيل، مروراً بعدائه المطلق لحلف بغداد، وتسليحه مصر وسوريا في أواسط الخمسينات، الى حرب العام ١٩٦٧، الى اعادة تسليح مصر، وحرب تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧٣، وصولاً الى طرح فكرة مؤتمر السلام الدولي في جنيف العام ١٩٧٧.

أبْعَد من هذه الاحداث التاريخية، هناك المسألة الاهم وهي مغزى الغياب السوفياتي ومغزى حضوره. وعلينا، على الأرجح، ان نعترف بأننا قد بالغنا كثيراً في تقدير أهمية هذا وذاك. هل ستغير زيارة الرئيس المصري السابق، أنور السادات، الى القدس شيئاً ممّا كان حاصلاً في ما سبقها ؟ وهل من حاجة الى كامب ديفيد كي تكون العلاقة السوفياتية ـ الاميركية متوترة ؟ المسألة الحقيقية ليست طبعاً في هذه الامور، على الرغم من جوهريتها؛ المسألة هي في تقدير الوزن السوفياتي على الصعيد الاقليمي، وفي تصوّر وظيفته. وهذان أمران يستأهلان مراجعة تتجاوز الهواجس الدبلوماسية. امّا في الوزن، فمن الواضح ان أسس الصراع بين العملاقين كانت تبلورت بين فكرة كامب ديفيد، بما تعنيه من تفرّد اميركي، وهيمنة لا تتورع حتى عن التدخل العسكري المباشر، وبين فكرة المؤتمر الدولي